المقدمة

الحمد لله وحده لا شريك له ، والصلاة والسلام على خاتم أنبيائه ورسله سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ..، أما بعد ،

فموضوع هذه الدراسة هو « الدور الاجتماعى لعلماء مصر والشام فى القرن التاسع الهجرى » « دراسة تاريخية مقارنة » .

ولقد قسم الباحث هذه الدراسة إلى مقدمة وستة فصول ، كما يلى :

المقدمة :

وقد تناول الباحث فيها تحديد المراد بمصطلح العلماء فى الدراسة ، وكذا المراد بدورهم الاجتماعى فى المجتمع المصرى والشامى فترة الدراسة .

الفصل الأول : « العلماء والحياة السياسية بمصر والشام » .

وقد تناول الباحث فيه دور العلماء إزاء الحياة السياسة الداخلية بمصر والشام من خلال محورين ، الأول بعنوان العلماء وتداول السلطة فى النظام السياسى المملوكى ، وثانيهما بعنوان أنماط العلاقة بين العلماء والسلطة المملوكية .

كما تناول الباحث فى هذا الفصل العلماء والحياة السياسية الخارجية من خلال ثلاثة محاور هى ، العلماء والحث على الجهاد بالقلم ، والعلماء والجهاد العسكرى ، والعلماء والسفارات .

الفصل الثانى : « العلماء والإدارة بمصر والشام » .

وقد تناول الباحث فى هذا الفصل لتلك الولايات التى تولاها العلماء بالجهاز الإدارى بالدولة المملوكية ، ولقد قسمها الباحث إلى ولايات دينية كالقضاء والحسبة ووكالة بيت المال ... إلخ ، وولايات ديوانية ككتابة السر ، ونظر الجيش .

الفصل الثالث : « العلماء والحياة الاقتصادية بمصر والشام » .

وقد تناول الباحث فى هذا الفصل دور العلماء فى الحياة الاقتصادية من خلال محاور

ثلاث هى ، موقف العلماء من موارد ومصارف بيت المال ، وجهود العلماء فى تنظيم المعاملات المالية والاقتصادية للمصريين والشاميين ، وجهود العلماء فى تنمية الحياة الاقتصادية وتطويرها .

الفصل الرابع : « العلماء والحياة الاجتماعية بمصر والشام » .

ولقد تناول الباحث فيه دور العلماء فى الحياة الاجتماعية من خلال خمسة محاور ، المستوى الاجتماعى للعلماء ، تطهير المجتمع من الأمراض الاجتماعية والرذائل الأخلاقية ، العلماء والفقراء ، العلماء وتزويج الأيامى ، العلماء والعمران .

الفصل الخامس : « العلماء والحياة الدينية بمصر والشام » .

ولقد تناول الباحث فيه دور العلماء فى الحياة الدينية من خلال خمسة محاور ، العلماء ومحاربة الطوائف المنحرفة ، العلماء ومحاربة البدع ، العلماء والمجالس الدينية ووعظ السلطة المملوكية ، العلماء والمحن والابتلاء ، العلماء وأهل الذمة .

الفصل السادس : « العلماء والحياة الفكرية بمصر والشام » .

ولقد تناول الباحث فيه دور العلماء فى الحياة الفكرية من خلال خمسة محاور ، العلماء والتأليف العلمى ، العلماء والتدريس بالمؤسسات العلمية ، العلماء والاجتهاد ومحاربة التعصب والجمود المذهبى ، الخلافات الفكرية بين علماء الأشاعرة والحنابلة ، العلماء والمكتبات .

*** أهداف البحث :**

إنَّ الإسلام ليس فيه تلك المقولة المنسوبة لسيدنا عيسى ﷺ « أوفوا ما لقيصر لقيصر ، وما لله لله » ، فتلك المقولة مرفوضة ، فليس هناك من ازدواجية بين الإسلام والسياسة ، وبين الدين والدولة ، ولقد أثيرت هذه الإشكالية « إشكالية العلاقة بين الدين والدولة » فى عالمنا الإسلامى المعاصر من قبل من تأثروا بالأفكار الغربية ، ونحن فى الواقع – فى غنى عنها – لما تؤديه من استنزاف الكثير من الجهد ، فذهبوا إلى ضرورة الفصل بين الدين والسياسة ، وإلى ضرورة علمنة "Secularization" المجتمع ، مدعمين وجهة نظرهم بأن الكثير من الممارسات الاستبدادية فى التاريخ كانت متدثرة بشعار الدين ، ولم تتمكن الشعوب من محاسبة تلك

الأنظمة، طالما كانت تفعل ما تفعله باسم الدين وباسم الله، كما أنه بالإمكان إقامة دولة مدنية مستقرة بكل مرافقها ومؤسساتها دون الحاجة إلى إقحام الدين فى السياسة[١]، ولقد غفل هؤلاء إمّا عن جهل بيّن أو سوء نيّة أن تلك الممارسات الاستبدادية المتدثرة بشعار الدين كانت فى تاريخ الغرب بشهادة مؤرخى الغرب أنفسهم عن تلك الفترة المسماة لديهم العصور الوسطى[٢] التى كان فيها الدين لدى هؤلاء مزيجًا من عناصر عديدة هى الوثنية والتراث القديم والمسيحية، وكان حملة هذا الدين من الرهبان أعوان للسلطة الحاكمة التى كانت تستنزف دماء رعاياها[٣].

ولقد جاءت هذه الدراسة ردًا مناسبًا على هؤلاء الذين استشرى خبثهم فى واقعنا الإسلامى المعاصر، ونادوا بشعار فصل الدين عن الدولة، حيث تثبت هذه الدراسة التاريخية أنّ الإسلام كان دائمًا وأبدًا دين ودولة، عقيدة وعمل، سياسة وحضارة، وأنّ علماء الإسلام المجتهدين الواعين لم يعرفوا فصلًا للدين عن السياسة أو اعتزال الحياة السياسية والاكتفاء بالتأليف والتعليم، بل أيقنوا أن الأمرين وجهان لعملة واحدة، لا يصح أحدهما دون الآخر، وإن وجدت طائفة قليلة من العلماء اعتزلوا الحياة السياسية، فهذا سلوك شاذ لا يُقاس عليه ولا يستنبط منه حكم عام، فلقد خاض علماء مصر والشام غمار السياسة، وداخلوا الحكام فاعلين ومتفاعلين يبدون آراءهم فى كل صغيرة وكبيرة تتعلق بشئون البلاد والعباد، وكان شعارهم الذين حملوه فى تعاملهم مع السلطة الحاكمة والرعية، أو فى توليهم الولايات هو «الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر».

---

(١) زهراء محمد «الأمة وعلاقاتها بأولى الأمر دراسة مقارنة بين الفقه السياسى الإسلامى والقوانين الوضعية» ص ٢، ماجستير، دار العلوم، القاهرة، ٢٠٠٠م.

(٢) يسمى مؤرخو الغرب المرحلة الزمنية الممتدة من سقوط الإمبراطورية الرومانية القديمة أواخر القرن الخامس وتنتهى بحركة الإصلاح الدينى أواخر القرن الخامس عشر للميلاد العصور الوسطى، انظر: ج.ج كولستون «عالم العصور الوسطى فى النظم والحضارة» ص ٣٥، ترجمة د. جوزيف نسيم، دار المعارف، ١٩٦٧م، هـ. ا. ل. فشر «تاريخ أوربا «العصور الوسطى» ص ٥، ترجمة د. السيد الباز العرينى، د. محمد مصطفى زيادة، دار المعارف، ١٩٦٦م.

(٣) ج.ج كولستون «عالم العصور الوسطى» ص ٢٣، ٢٧، ١١٧، ١٢٢، ١٨١، ٣٢٠.